وقد أمسك عن جوابي وكانت محاسنها تجعل كلماتي شوهاء ، وكان وضوحها يجعل معاني غامضة ، وكانت حلاوتها تجعل أقوالي مرة ، وكانت ثياب العروس وهي تزف تريه ألفاظي في ثياب العجوز المطلقة . وكلما غاضبته مع نفسه أوقعت هي الصلح بينه وبين نفسه

والعجيبُ العجيبُ في هذا الحب أن فتح العينين على الجميل المحبوب هو نوع من تغميضهما للنوم ورؤيا الأحلام ؛ ليس إلا هذا ولا يكون أبداً إلا هذا . فهما أعطيتَ من جدل فأقناعك الحب المستهام كاقناعك النائم المستَثْقَل[1] ؛ وكيف وله ألفاظ من عقله لا من عقلك ، وبينك وبينه نسيانه إياك ، وقد تركك على ظاهر الدنيا وغاص هو في دنيا باطنه لا يملك فيها أخذاً ولا رداً إلا ما تعطى وما تمنع

* * *

ثم . . ثم غابت (العروس) بعد أن نظرت له وضحكت

ضحكت بحزنٍ حُزنَ[2] الذي يسخر من حقيقة لأنه يتألم ن حقيقة غيرها . . وكان منظرها الجميل المنكسر فلسفة تامة مصبورة ، للخير الذي اعتدى عليه الشر فأحاله ؛ والأرادة التي أكرهها القدر فأخضعها ؛ والعفة المسكينة التي أذلتها ضرورة الحياة ؛ والفضيلة المغلوبة التي حيل بينها وبين أن تكون فضيلة

وياما كان أجملها ناظرة بمعاني البكاء ضاحكة بغير معاني الضحك ؛ تتنهد ملامح وجهها وفمها يبتسم

كان منظرها ناطقاً بأن قلبها الحزين يسأل سؤالاً أبداه على وجهها بلطف ورقة ؛ كان يسأل إنساناً : ألا تحمل هذه العقدة ... ؟

وانقضى التمثيل وتناهض الناس

أما صاحب القلب المسكين ؟

(يتبع) مصطفى صادق الرافعي

إلى ا . ج . بدمشق : يابى قل لذلك الذي يسمي نفسه فقيها : إن كتب الفقه لو قالت لله انخدع لحيلة الفقهاء في تحليل ما حرمت ، لكانت كتب الكفر لا كتب الفقه ...

وسنكتب يوماً إن شاء الله مقالة (الهائم) فان الاسلام مبتلى بهؤلاء الذين يأكلون في بطونهم نقها ... الرافعي

(١) بفتح القاف أي الذي أثقله النوم

(٢) حزن الثانية في هذا التركيب منصوبة على أنها مفعول مطلق

تطور خطير
في السياسة الدولية
هل تقترب نذر الحرب
بقلم باحث دبلوماسي كبير

تتابعت الحوادث الدولية في الأسبوعين الأخيرين بسرعة ، وبدت في الأفق أزمات واحتمالات مزعجة يرى فيها المتشائمون نذر الحرب تجتمع وتهيء الأسباب للاصطدام الخطر ؛ ففي أسبانيا تتطور الحوادث تطوراً واضحاً ، إذ يقف هجوم الثوار على مدريد ، بعد أن كادت تسقط في أيديهم ، وترجح قوات الجمهوريين التي تؤيدها نجدات سوفيتية قوية ؛ وتسارع إيطاليا وألمانيا إلى الاعتراف بحكومة برجوس (حكومة الثوار) لكي تشد أزر الجنرال فرانكو زعيم الثورة من الوجهة المعنوية ، ولكي تسبغ على حكومته صفة الدولة المحاربة فيسهل عليه تلقي النجدات الخارجية بصورة أوسع ؛ وقد ظهر أثر هذا التأييد واضحاً في تصرفات الجنرال فرانكو الأخيرة ؛ فقد أعلن أنه سيفرض الحصار البحري على شواطىء اسبانيا الشرقية والشمالية ، وأنه سيغلق ثغور اسبانيا التي بأيدي الجمهوريين أعني برشلونه وبلنسية واليقنت ومالقة ، وأن سفنه ستطلق النار على أية سفينة أجنبية تدخل هذه المياه ؛ ووجه الجنرال فرانكو أيضاً إلى فرنسا إنذاراً بطلب الذهب الاسباني الذي سحبه الجمهوريون من بنك اسبانيا ، وأودعوه في باريس ؛ ومع أن الجنرال فرانكو لا يملك من الوحدات البحرية سوى عدة طرادات صغيرة لا تستطيع أن تضطلع بمثل هذا الحصار الضخم ، فان المفهوم أنه سيعول في تنفيذ وعيده على يد الغواصات الايطالية والألمانية ؛ وقد ظهر أثر هذه المعاونة البحرية سريعاً في إصابة الطراد الجمهوري « سيرفانتيس » من مقذوف بحري أطلقته عليه غواصة أجنبية ؛ على أن الجنرال فرانكو لم يلبث إزاء موقف إنكلترا وتشددها في عدم اعتبار صفة شرعية لحكومة الثوار ، ومطالبتها بألا يتعدى الحصار المياه القومية ، أعني مدى الثلاثة أميال المقررة في القانون الدولي ، وأن تعين منطقة محايدة لرسو السفن الأجنبية ، أن اضطر إلى تعديل موقفه والتسليم بهذه المطالب التي أيدتها

إنكلترا باجراء بعض المناورات البحرية الضخمة فى المياه الاسبانية

وظاهر من هذه الخطوة التى اتخذها الجنرال فرانكو ، بتحريض الدول الفاشستية أعنى إيطاليا وألمانيا وتأييدها المعنوى والمادى ، أنه يقصد وقف المساعدات القوية التى تتلقاها الحكومة الجمهورية من روسيا السوفيتية عن طريق برشلونه وبلنسية ، ومطاردة السفن الروسية التى ترد بلا انقطاع إلى هذه المياه مشحونة بالذخائر والمؤن ، وهى معاونة كان لها أكبر الأثر فى إحباط هجوم الثوار على مدريد ، وفشل خطط الجنرال فرانكو فشلاً قد يؤدى إلى انهيار الثورة بصورة نهائية ؛ وظاهر أيضاً أن فشل الجنرال فرانكو إنما هو فشل لألمانيا وإيطاليا اللتان تؤيدانه منذ البداية وتمدانه بكل أنواع المعاونة فى البر والبحر والهواء ؛ ولهذا بادرت الدولتان الفاشستيان إلى الاعتراف بحكومة برجوس ستراً لهذا الفشل ، وإلى دفع الجنرال فرانكو إلى إعلان الحصر البحرى وتأييده بارسال الغواصات إلى المياه الاسبانية لمحاولة اعتراض السفن الروسية أو الأجنبية الأخرى التى تحمل الذخائر والمؤن للحكومة الجمهورية

بيد أنه يشك كثيراً فى أن يكون لهذا الاجراء أثره المنشود ، ذلك لأن روسيا السوفيتية أبدت أنها لن تعبأ به ، وأنها ستقاوم العنف بالعنف إذا اعتدى على سفنها ، وما زالت السفن الروسية ترد إلى برشلونة وبلنسية تحرسها وحدات بحرية روسية ؛ وهذا مما يجعل الموقف فى هذه المياه فى منتهى الدقة والخطورة خصوصاً بعد أن ثبت وجود بعض القوات الايطالية فى جزيرة ميورقة تجاه بلنسية ، ووجود بعض الطرادات والغواصات الايطالية فى مياهها ، هذا فضلاً عن أن انكلترا تهتم بالحالة فى تلك المياه اهتماماً شديداً وتجوسها بعض وحدات أسطولها ، وكذلك فرنسا ، فأن وقوع هذه المياه على مقربة من شواطئها ، ثم فى طريق الجزائر يحملها على أن تشاطر انكلترا اهتمامها ، وأن ترقب الحالة مع الاستعداد لكل طارئ

وهكذا نرى هذه المعركة التى تضطرم فى الظاهر فى أسبانيا بين الجمهورية وخصومها تبدو فى صورتها الحقيقية صراعا بين الفاشستية والديموقراطية حسبما بينا من قبل غير مرة ؛ وهى تبدو اليوم فى هذه الصورة واضحة تؤيدها الأدلة المادية الظاهرة ، فمن وراء الجنرال فرانكو تعمل إيطاليا وألمانيا والبرتغال بصورة منظمة مستمرة ؛ وتعمل روسيا السوفيتية لمعاونة حكومة مدريد الجمهورية بكل ما وسعت ، وتؤيدها فرنسا وانكلترا بصورة مستترة ؛ وقد شرحنا من قبل ما ترتبه الدول الفاشستية من المطامع والأمانى على إضرام نار الحرب الأهلية فى أسبانيا بهذه الصورة ، والسعى بواسطة الجنرال فرانكو إلى إقامة حكومة فاشستية فى أسبانيا تعضد نفوذ إيطاليا وألمانيا فى غرب البحر الأبيض المتوسط ، وتحقق لهما بعض المغانم الاستعمارية فى جزر البليار والكنارى ، وربما فى مراكش الاسبانية ؛ وبينا أيضاً ما يحمل الدول الديموقراطية أعنى انكلترا وفرنسا على مقاومة هذه المحاولة وإحباطها ؛ وإذا كانت الدولتان الديموقراطيتان لا تعملان لمعاونة أسبانيا بصورة ظاهرة ، فأنهما تعتمدان فى هذه المعاونة على روسيا ، وتؤيدان مساعيها فى هذا السبيل ؛ وهناك بالأخص نقطة تلفت النظر ؛ وهى أن الأسطول الروسى الذى يحمل المؤن والذخيرة إلى حكومة مدريد يسير بعيداً عن قواعده لتجدة الجمهوريين ، ويغامر بالظهور فى مياه أجنبية ، وقد يتعرض لاعتداء الغواصات الألمانية والايطالية ؛ ولكن لا ريب فى أن روسيا لا تقدم على مثل هذه المغامرة إلا وهى معتمدة على تفاهمها مع انكلترا ، وعلى حماية الأسطول الانكليزى وإمكان استخدام المياه الفرنسية لحماية سفنها وقت الخطر

وقد لاح مدى لحظة أن قوات الجنرال فرانكو تكاد تكتسح كل شىء فى طريقها وتستولى على مدريد بأيسر أمر ؛ ولكن الحوادث تطورت بسرعة وتحطم هجوم الثوار على مدريد ، وبدا التفوق فى جانب الجمهوريين واضحا ، وربما كان هذا الفشل مقدمة انهيار الثورة الاسبانية ، والخطط الفاشستية التى تؤيدها

* * *

على أن هناك غير حوادث أسبانيا عدة تطورات وحوادث دولية خطيرة أخرى زادت فى حرج الموقف ودقته . ذلك أن السياسة الفاشستية نشطت أخيراً إلى مضاعفة جهودها فى سبيل تقوية جبهتها ضد أوربا الغربية بوجه عام ، وروسيا السوفيتية بوجه خاص ؛ فبعد أن عقدت ألمانيا وإيطاليا تحالفهما المعروف ضد « البلشفية » ، وبعد أن اتفقتا على تقسيم أوربا الوسطى إلى منطقتى نفوذ سياسى واقتصادى ، تتعاونان فى استغلالها وتوجيههما مع اختصاص ألمانيا بالعمل فى تشيكوسلوفاكيا ، واختصاص إيطاليا بالعمل فى المجر ، واشتراكهما معاً فى العمل فى النمسا ، فاجأت ألمانيا العالم بعقدها تحالفا مع اليابان اتخذت

مكافحة البلشفية والثورة العالمية التي تعمل روسيا لاضرامها ستاراً له ، وهذه الحجة الظاهرة ، أعني مكافحة البلشفية هو الشعار الذي تستتر به ألمانيا في سياستها الحالية وتقرنه بالتهويل في وصف الخطر البلشفي ووجوب اتحاد أمم العالم على مقاومته وإنقاذ المدنية من شره ؛ بيد أنه يظن أن الاتفاق الألماني الياباني ، رغم ما نشر من نصوصه ، يبطن تحالفاً عسكرياً سرياً ، ويقصد إلى غايات خطيرة أخرى تتلخص في تعاون اليابان وألمانيا على مقاومة روسيا وتهديدها في الشرق الأقصى ، وفي أوربا ؛ وتدعيم الخطط الاستعمارية اليابانية في الصين والشرق الأقصى ، نظير تدعيم الخطط الألمانية العسكرية والاستعمارية في شرق أوربا وفي غربها إذا اقتضى الأمر ؛ وبعبارة أخرى يمكن اعتبار التحالف الألماني الياباني رداً على التحالف الفرنسي الروسي الذي اعتبرته ألمانيا موجها ضدها

وقد كان لعقد هذا التحالف الألماني الياباني وقع شديد في أوربا وأمريكا معاً ؛ ومع ما قدمته ألمانيا واليابان من الايضاحات لتخفيف وقع التحالف ، فأن الغاية من عقده لم تخف على أحد ؛ ولم تقتنع الدول الكبرى بصحة الزعم الذي اتخذ ستاراً لعقده ، وهو التعاون على مكافحة البلشفية ، لأن البلشفية نظام داخلي يخص روسيا وحدها ، وفي وسع الدول التي تخشى من تسربه إليها أن تقاومه داخل أرضها بوسائلها الخاصة ؛ ولدى ألمانيا واليابان أشد الوسائل الداخلية لمكافحة البلشفية وغيرها من الأنظمة غير المرغوب فيها ؛ وترى انكلترا وفرنسا وأمريكا في عقد هذا التحالف خطراً على مصالحها في الشرق الأقصى ، لأنه يعاون اليابان في تنفيذ خطتها لاستعمار الصين الجنوبية ، ويقوي مركزها في المحيط الهادي على حساب أمريكا وانكلترا ، وقد كانت هذه الدول ترى في التوازن الياباني الروسي في الشرق الأقصى نوعا من الضمان لمصالحها ، فاذا قضي على هذا التوازن ، واستطاعت اليابان أن تطلق يدها في شؤون الشرق الأقصى اعتمادا على انشغال روسيا بحماية حدودها الغربية من مطامع ألمانيا ، أصبح التفوق الياباني خطرا على مصالح الدول الغربيـــة وسيادة أمريكا في المحيط الهادي

والظاهر أن ألمانيا تحاول أن تحشد في هذه الجبهة الجديدة كل الدول التي تميل الى التعاون معها وفي مقدمتها ايطاليا ، وهي تعمل لذلك الغرض بنشاط مضاعف ؛ ومن المشكوك فيه أن تستطيع ألمانيا أن تحشد في تلك الجبهة الشرقية دولا أخرى ، وإن كانت إيطاليا تميل الى تأييدها من الوجهة المعنوية ، لأن ايطاليا مع صفتها الفاشستية العميقة لا تذهب في خصومة روسيا الى الحد الذي تذهب اليه ألمانيا ، والواقع أنه إذا كانت ألمانيا قد استطاعت بتحالفها مع اليابان أن تقوي مركزها ضد روسيا السوفيتية فأنها قد أثارت بعقده في نفس الوقت شكوكا ومخاوف جديدة ، ففرنسا وروسيا تريان فيه خطرا جديدا عليهما يجب أن يقابل بمضاعفة الجهود في التسلح والاستعداد ، وانكلترا وأمريكا تتوجسان شرا من تطور الأحوال في الشرق الأقصى تطوراً قد يضطرهما الى العمل لصون مصالحهما ؛ فهذه الظروف مع ازدياد الشك في نيات ألمانيا ومطامعها العسكرية والاستعمارية يثير حول سياستها ريباً ما كان أغناها عن إثارتها ، ويجعل مزايا التحالف الجديد ضئيلة بالقياس الى ما أحدثه من رد فعل عميق

هذا ، ومن جهة أخرى فأنه مهما كانت مزايا هذا التحالف من الوجهة العسكرية ، فان الدول التي تقصدها ألمانيا بعقده ، وهي فرنسا وروسيا ، هما الآن أعظم الدول استعدادا من الوجهة العسكرية ، وكلتاهما تتمتع بتنظيمات دفاعية وموارد عسكرية هائلة ، ومهما قيل في استعداد ألمانيا الحربي من الوجهة الفنية ، فانها فقيرة في المال والمواد الأولية ؛ وفرنسا تمضي بمضاعفة جهودها في التسلح والدفاع ولا سيما في الأشهر الأخيرة التي ظهرت فيها ألمانيا بمظهر الوعيد والتحدي ؛ وكذا روسيا فانها مذ أدركت خطر السياسة النازية العسكرية على حدودها الغربية ، انضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت ميثاق التحالف مع فرنسا ؛ وفرنسا لا يمكن أن تترك روسيا وحيدة إذا هاجمتها ألمانيا ، لأن بقاء روسيا قوية سليمة مما يهم فرنسا كضمان لسلامتها ؛ وعلى ذلك ، فاذا اندفعت ألمانيا في سياستها العسكرية الخطرة ، وعملت على إثارة الحرب في شرق أوربا بصورة من الصور ، فلا ريب أن الحرب ستقع أيضاً في غرب أوربا ، وعندئذ تقع حرب عالمية أخرى

والخلاصة أن الأفق الدولي مثقل بالسحب ؛ ومما يلفت النظر في ذلك كله أن الفاشستية تلعب في إثارة هذه الأزمة الدولية الدقيقة أكبر دور ، ولا تحجم عن تغذية الاتجاهات والشهوات العسكرية الخطرة بكل ما وسعت ؛ وقد شرحنا في

(البقية في ذيل الصفحة التالية)